مداخلة للمشاركة في الملتقى

الاسم واللقب: **مراد قبال**

الرتبة: **محاضر أ**

الجامعة: **خميس مليانة**

البريد الالكتروني: mourad.kebbal@yahoo.fr

محور المداخلة: **المحور الأول: مدخل مفاهيمي: ظاهرة الإلحاد المعاصر في السياق التاريخي**

عنوان المداخلة: **ظاهرة الإلحاد في الجزائر خلال العهد الاستعماري (الأسباب وآليات المواجهة)**

مقدمة:

ما فتئ البحث عن الإلحاد وتجلياته المختلفة، مستمرا عبر القرون والعصور، سيما في زمننا الحاضر، جراء ما أتاحته الثورة المعلوماتية من عولمة الشبهات، ومحاولة تقليص دائرة الدين.

فالبحث عن الإلحاد قديم، قدم البحث عن الإيمان والألوهية، ومتنوع بتنوع المناشئ والأسباب من نفسية وتربوية إلى فلسفية واجتماعية وغيرها، ولكن مع هذا يبقى الجواب على السؤال الرئيسي، في أن الإلحاد –في وقتنا الحاضر– هل أصبح ظاهرة عامة أو أنه حالة عابرة، متعلقا بتعريف الإلحاد كثيرا ما يختلط الأمر فيطلق المصطلح على من ترك بعض الطقوس الدينية، أو تهاون فيها جراء ضغوط اجتماعية أو نفسية مختلفة، وهو الأعم الأغلب، سيما في فترة المراهقة وطغيان الغرائز، وشتان بين ترك بعض الطقوس أو التهاون فيها، ورفض الإله تماما[1].

1– مفهوم الإلحاد لغة واصطلاحا:

1.1– تعريف الإلحاد لغة: الإلحاد مصدر قولهم ألحد يلحد، مأخوذ من مادة ل–ح–د (اللام والحاء والدال) أصل يدل على ميل عن الاستقامة، ألحد في دين الله أي حاد عنه وعدل، وقرئ " لسان الذي يلحدون إليه". ولحد الرجل في الدين لحدا وألحد: طعن.

قال الأزهري معنى الإلحاد في اللغة: الميل عن القصد.

وقد ورد لفظ الإلحاد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه"[2]، وقوله: "ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم"[3]؛ وقوله:

---

[1] باترك ماسترسن، **الإلحاد والاغتراب** (بحث في المصادر الفلسفية للإلحاد المعاصر)، الطبعة الأولى، ترجمة هبة ناصر، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العراق، 2017، ص 7.

[2] سورة الأعراف الآية 180

[3] سورة الحج الآية 25

"إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا"[1]. والمراد بالإلحاد في هذه الآيات: "العدول، الميل والتكذيب والذنب"[2].

2.1- تعريف الإلحاد اصطلاحا: يمكن تقسيم تعريفات الإلحاد إلى قسمين:

أولا- تعريف عام بناء على أصله اللغوي: قال ابن الجوزي: "الإلحاد العدول عن الاستقامة"، وقال ابن تيمية: "الإلحاد يقتضي ميلا عن شيء إلى شيء باطل"، وقال الكفوي: "الإلحاد الميل عن الحق".

ثانيا- تعريفه كمذهب: جاء في المعجم الفلسفي: "الإلحاد مذهب من ينكرون الألوهية، والملحد غير مؤله، وهذا معنى شائع في تاريخ الفكر الإنساني، وهذا الوضع إنما جرى عليه الاصطلاح لدى الكتاب المعاصرين، إذ قصروا الإلحاد على إنكار وجود الخالق"[3].

2- انتشار الإلحاد في البلاد الإسلامية خلال الفترة المعاصرة:

أمست البلاد الإسلامية تحت سيطرة الدول الأوروبية منذ مطلع القرن التاسع عشر، فاستغلت خيراتها ونعمت بثرواتها واستيقظ العالم الإسلامي على أزيز الطائرات ودوي المدافع وضجيج المصانع، فانبهر بتلك الحضارة وبادر إلى السؤال عن أسبابها، ولم يفت على الاستعمار إعداد الجواب لمثل هذا السؤال فقد أقصى أصحاب الثقافة الدينية عن ميادين الإصلاح وحصر وظائفهم في المساجد التي قلّ روادها.

وأصبحت الوظائف الحكومية وأدوات التوجيه الاجتماعي في أيدي أصحاب الثقافة الأوروبية الذين نشئوا في أحضان الاستعمار وتشبعوا بثقافته فسيطروا على أجهزة التعليم في كثير من البلاد الإسلامية فضلا عن جهود الاستعمار الدائبة لنشر التغريب واللادينية بكل الوسائل الممكنة، وأوهموا الناس أن حالة

---

[1] سورة فصلت الآية 40

[2] محمد عبد المنعم عبد السلام حسن، "ظاهرة الإلحاد أسبابها آثارها سبل الوقاية منها"، **حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية**، المجلد الأول، العدد 35، ص 355- 356

[3] حسن، مرجع سابق، ص 356- 357.

العالم الإسلامي تشبه حالة أوروبا في العصور الوسطى، ولن ينهض إلا بما نهضت به أوروبا من فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية، وبذلك يتحقق له ما تحقق للأوروبيين[1].

وانقسم المسلمون في كل بلاد دخل فيها التعليم الأوروبي إلى ثلاثة أقسام: قسم فتن بالجديد ممقت كل القديم، وقسم جمد على القديم فهو ينفر من كل جديد، وقسم معتدل بينهما، يأمر بالمحافظة على القديم النافع وترك الضار منه بالتدريج، وإضافة ما لا بد منه من الجديد بشرط حفظ مقومات الأمة ومشخصاتها والحذر من فنائها في غيرها[2].

فبالإضافة إلى مشاكل الحياة الدينية الموجودة كالعقائد المبتدعة والأعمال المخالفة للشرع والتي انتشرت في بلاد المسلمين في القرون المتأخرة، والتي أدت أخيرا إلى المرض المزمن الذي فتك بدولتهم، فإنه ظهر في هذه الحياة مشاكل جديدة لم تكن من قبل والتي أتى بها الأوروبيون "المصلحون" معهم، فيما حملوه من متاعهم.

لقد صار الأوروبيون في العصر الأخير قوة وغلبة على أمم العالم، وذلك نتيجة تصحيحهم لأخطائهم، فبعد اطلاعهم على نتائج بحوثهم الحديثة ورقيهم في العلوم والصناعات، وموقف الكنسية من هذا التقدم، بدا لعقلائهم أن دينهم الذي اعتنقوه لا يتفق مع العقل والعلم، ثم طردوا هذه النتيجة على كل دين[3]، فكان هذا منشأ الإلحاد في أوروبا، الذي أتى إلينا معهم من خلال الاحتكاك المباشر معهم لما أتوا مستعمرين، وفي أوروبا لما ذهبنا عمالا أو متعلمين، فلقد انتقلت عقلية الإلحاد الأوروبية إلى العقلية العربية الإسلامية، وفشت بين المتعلمين العصريين في المدارس الجديدة، التي لم يكن فيها صبغة دينية[4].

---

[1] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير**، الجزء الأول، الطبعة الثانية، طبع رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1403هـ- 1983م، ص 69-70.

[2] **المنار**، المجلد 12، الجزء 4، ربيع الآخر 1327هـ-ماي 1909م، ص 297.

[3] مصطفى صبري، **موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين**، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص 166، 216، وأنظر أيضا: صبري، نفس المرجع، الجزء الثاني، ص ص 16-18.

[4] المنار، "الإلحاد في المدارس العلمانية"، المجلد 14، الجزء 7، رجب 1329هـ-جويلية 1911م، ص 544. وأنظر أيضا: محمد حسين، **الإسلام والحضارة الغربية**، الطبعة الأولى، طبعة المكتب الإسلامي، 1399هـ-1979م، ص 18.

لقد بدا أن العلم الحديث قد قضى على الأديان كلها ولم يستثن منها الإسلام[1]، وتسللت هذه الأفكار حتى وصلت إلى عقول بعض العلماء[2]، ولقد كان دستور هذا العلم الحديث هو: "كل معقول لا يؤيده محسوس لا يلتفت إليه"[3]. وبناء على ذلك طرحت فكرة الإيمان بالله وحده، وهي رأس الدين وأساسه الأول، وبدا أن هذه الفكرة قد سيطرت على عقول الكتاب والمفكرين حتى في الصحف والمجلات السيارة، وتبعا لإنكار هذه الفكرة جاءت فكرة أخرى هي: إنكار كل ما يتصل بعالم الغيب[4].

ولم يتوقف الأمر عند أصول الدين، بل امتد أيضا إلى فروعه الفقهية، فقد أراد جماعة من المتعلمين على الطريقة الحديثة، والمفتونين بالحضارة الأوروبية والعلم الحديث، طرح الفروع الفقهية بدعوى عدم مناسبتها للحالة العصرية، وقد ظهر ذلك حول حجاب المرأة المسلمة في كتابين لقاسم أمين[5]، هما: "تحرير المرأة" و"المرأة الجديدة"[6]، وامتد ليشمل أيضا جميع كتب الفقه الإسلامي[7].

فتبين من هنا أن الفتنة المثارة ضد الدين، الواصلة إلى حد إنكار وجود الله تعالى، لعدم كونه – بحسب دستور العلم الحديث– في متناول التجربة الحسية، أو لكونه لا يزال محلا للشك في وجوده على الأقل، وإنكار معجزات الأنبياء المستلزم لإنكار النبوة، لكونها أيضا من الخوارق التي لا يقدر على تجربتها في هذا الزمان، والتشكيك في أخبار الأنبياء عن الغيب والمستقبل، بل وإخبارهم عما سبق أيضا من

---

[1] صبري، مصدر نفسه، الجزء الأول، ص 216.

[2] مصدر نفسه، الجزء الأول، ص 98.

[3] نفسه، الجزء الأول، ص 244.

[4] صبري، مصدر سابق، الجزء الأول، ص 32-33.

[5] من تلاميذ محمد عبده، أحد رواد الجيل الذي تأثر بالفكر الغربي ودعا إلى إتباعه كوسيلة للرقي والنهوض. درس في مدرسة الحقوق المصرية ذات المناهج الفرنسية، عمل قاضيا بمحكمة الاستئناف الأهلية، ونائبا لرئيس إنشاء الجامعة المصرية، ومؤلف كتابي (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) اغتالته المنية فجأةً في 21 من شهر ماي 1908م. للمزيد أنظر: المنار، ""، مصاب مصر بقاسم بك أمين"، المجلد 11، الجزء 3، ربيع الأول 1326هـ-ماي 1908م، ص 226، وأنظر أيضا: المنار، "النهضة الإسلامية في مصر"، المجلد 2، الجزء 16، 23 صفر 1317هـ-1 جويلية 1899م، ص 248.

[6] نشر قاسم أمين أولا "تحرير المرأة" وبعده بعام نشر "المرأة الجديدة"، وقد قرظ الشيخ رشيد رضا كتابه وأثنى عليه. أنظر: **المنار**، "المرأة الجديدة"، المجلد 3، الجزء 32، 16 شوال 1318هـ-6 فيفري 1901م، ص 850. وأنظر أيضا: مصطفى صبري، مصدر سابق، الجزء الأول، ص 35-36.

[7] صبري، مصدر سابق، الجزء الأول، ص 32. وأنظر أيضا: حسين، مرجع سابق، ص 51.

الأمم السابقة، فقد طمّت وعمت ووصلت إلى علماء الأزهر الجدد والكتاب العصريين، وقد قويت هذه الفتنة وشد أزرها العلم الحديث، ويهيبها علماء الأزهر الباقون على عقيدة الإسلام وسكتوا عنها[1].

3- الإلحاد في الجزائر خلال العهد الاستعماري:

أدت السياسة الفرنسية في الجزائر إلى تيئيس المسلمين الجزائريين في مستقبلهم، ودفعهم إما إلى الهجرة، أو القبول بالنفوذ الفرنسي، وقد تركت هذه السياسة شعورا مريرا باليأس لدى المواطن الجزائري[2]، عبر عنه الأستاذ محمد الأمين العمودي بقوله: "أما حياتي فحياة كل مسلم جزائري، حياة بلا غاية ولا أمل، حياة من لا يأسف على أمسه، ولا يغبط بيومه، ولا يثق في غده، تلك حياتي من يوم عرفت الحياة، ولم أظفر بعقد هدنة مع الدهر، الذي أشهر عليّ حربا عوانا، لا أدري متى يكون انتهاؤها، ولا أظن أن يكون لها انتهاء، لأن هذا العدو القوي الظلوم الجائر الغشوم، لا يمسك عني إحدى يديه، إلا ليصفعني بالأخرى"[3].

ونتيجة الهجرة بحثا عن لقمة العيش خلال تلك الحقبة التاريخية، كان "في فرنسا جالية عظيمة من المسلمين الجزائريين، متفرقة على مدن الصناعة، عاملة على كسب القوت، بعد أن أجلاهم الاستعمار عن وطنهم بأساليبه المعروفة، فخرجوا منه مكرهين لا مختارين، وقد قضت عليهم الضرورة أن يعيشوا في وطن ليس فيه إسلام ولا عربية، وأن تطول إقامتهم فيه أو تدوم، وقضت على بعضهم أن ينقل إليه زوجته المسلمة أو يتزوج فيه من أجنبية وينسل، وقد بلغ عدد أطفالهم في باريس وضواحيها نحوًا من عشرين ألف طفل"[4].

---

[1] مصدر نفسه، الجزء الأول، ص 343.

[2] حسن عبد الرحمن سلوادي، **عبد الحميد بن باديس مفسرا**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م، ص 19.

[3] محمد الهادي السنوسي، **شعراء الجزائر في العصر الحاضر**، الجزء الثاني، المطبعة التونسية، 1926م، ص 20.

[4] محمد البشير الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، (جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي)، الجزء الثاني (1940-1952)، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 442.

وكانت تلك الجالية الكبيرة مرتعا لانتشار الأفكار الهدامة، كالشيوعية والإلحاد، حيث يصف الشيخ الفضيل الورتلاني، حالة الإهمال التي كان عليها العمال الجزائريون في فرنسا من جهة التعليم والإرشاد فيقول: "قبل عشرة أشهر تقريبا، كانت هذه الفئة، وتعدادها حوالي ثمانين ألف شخص، مهملة تماما، مشتتة في مختلف الأحياء والمناطق العمرانية لمدينة باريس الكبيرة. لقد كانت في حالة من البؤس المادي والمعنوي يرثى لها، معرضة لانحرافات وآفات الشارع والأماكن المشبوهة، مشتتة بسبب خصومات شخصية تافهة، لا يكاد المرء يتبين أسبابها الحقيقية. لقد كانوا فريسة سهلة لكل الدعايات، فهم بدون تعليم، ولا تهذيب، ولا إرشاد. كانوا هدفا لكل أنواع الشعوذة، التي تستغلهم بدون رحمة باسم الدين، وهدفا لفئة من الانتهازيين، الذين يقدمون أنفسهم كحماة لهم، ومدافعين عنهم، حين يكونون ضحايا لظلم أو تعسف من طرف النظام الاستثنائي، الذي يرهق كاهلهم حتى في باريس، هذه المدينة الجميلة التي قيل أنها مهد الحرية"[1].

يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عن ظاهرة الإلحاد في الجزائر: "الإلحاد ضيف ثقيل، حلّ بهذا القطر منذ انتشرت بين أبنائه الثقافة الأوروبية، من طريق التعليم اللاديني، أو من طريق التقليد الأعمى، وغذته غفلة الآباء والأولياء، عن هذه الناحية الضعيفة من أبنائهم. كما أن من الأسباب التي مكنت للإلحاد في نفوس الشبان المتعلمين، مجانبة علماء الدين الجامدين لهم، ونفورهم منهم، وهي عادة ما يزال يتسم بها هذا الصنف من العلماء إلى الآن"[2].

ويؤكد على هذه الفكرة الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي قال: "إن الطرقية هي التي دفعت كثيرا من شبابنا إلى اعتناق اللائكية ثم الإلحاد، لأنها لم تكن تصوّر لهم الإسلام الذي تدّعي الغيرة عليه، والذود عن حماه، إلا في صورة دين متأخر جامد، لا علاقة له بحياة الناس المادية وتطورهم"[3].

---

[1] الإبراهيمي، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص 442.

[2] محمد البشير الإبراهيمي، "تصدير"، **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، 2009، ص 52- 53.

[3] بعزيز بن عمر، (1938). اهتمام جمعية العلماء بالحركة التهذيبية في باريس، "البصائر"، الجزائر، السنة الثالثة، عدد 103، ص 79.

وهذا ضـــمير جزائري يأســـى ويأســـف للحالة التي أصـــبح عليها المســـلمون الجزائريون من الاتجاه الإلحادي، ومن القعود عن الدعوة الإســـلامية، وهو ضـــمير المؤرخ الجزائري إسماعيل حامت الذي يقول: "كان للإلحاد الغربي، مبلغ كبير من التأثير في جمهور ليس بالقليل من مســـــلمي الجزائر، الذين وإن كانوا ما برحوا مسـلمين في الظاهر، فهم يجهلون حد ما وصـلت إليه روحهم الدينية من التلاشـي. إن هؤلاء لا ينكرون الإسلام دينهم ومعتقدهم، غير أنهم قد أضحوا من فتور الغيرة الدينية في نفوسهم، بحيث غدوا لا يبالون البتة بنشره بين الناس، وبالدعوة إليه في غير المسلمين، فالإسلام عندهم، إنما هو مقصور على من يأتي بعدهم من الأولاد والأحفاد فحســـب، وليس يتناول أحدا ســـواهم من الخلق أجمعين. فالحق إن الإسلام لبراء مما هم فاعلون. وليس هو الحرية الفكرية على ما يزعمون، بل إنما هو الفتور فالتلاشي"[1].

والواقع أن الســياســة الاســتعمارية الفرنســية فيما يتعلق بالناحية التربوية التعليمية، كانت ترمي إلى تكوين جماعات منفصـلة عن مقومات الشـخصـية الإسـلامية العربية، وإلى تحويل الشـعب الجزائري كله، وإدماجه في الحضـــارة الأوروبية والثقافة الفرنســـية، عن طريق نشـــر اللغة الفرنســـية، ومقاومة الشـــريعة الإسلامية التي ترى أنها هي العقبة الوحيدة التي تحول دون الاندماج[2].

فنتيجة إشـاعة المفاهيم العلمية والإيديولوجية الجمهورية، وشـيوع بعض النزعات الفلسـفية والأدبية، كل هذا حدد تكوين نزعة وضـعية لدى عدد كبير من المثقفين المسـلمين خريجي المدرسـة الفرنسـية. كان جل قادة من كانوا يسـمون بـــ "الفتيان الجزائريين" أطباء وصـيادلة" منتصـرين لدين العلم، وكانت هذه الإطارات المثقفة المتحررة من المعتقدات التقليدية، قادة فكر الشـــبيبة. حينئذ ندرك بأن هذه التأثيرات كلها، وهذه التيارات الفكرية، قد وجهت الشبيبة الجزائرية للعشرينيات والثلاثينيات، صوب تصور فرداني وواقعي للحياة، وأوحت لها بحب الريبة واللامبالاة الدينية[3].

---

[1] عبد الحميد بن باديس،**آثار ابن باديس**، المجلد الأول، إعداد وتصنيف عمار الطالبي، الطبعة الثالثة، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1417هـ-1997م، ، ص 47- 48. نقلا عن كتاب:

Ismail Hamet, **Les Musulmans Français du Nord de L'Afrique**, paris, 1906.

[2] ابن باديس، مصدر نفسه، المجلد الأول...، ص 49.

[3] علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ترجمة محمد يحياتن، الطبعة الثانية، دار الحكمة، الجزائر، 1999، ص 71.

ولأن السياسة التعليمية الفرنسية كانت قائمة على فلسفتها اللائكية الإلحادية، فقد حث الشيخ الإبراهيمي المعلمين على التصدي لموجة الإلحاد، وذلك بالتمسك بالتعاليم الإسلامية سلوكا ومعاملة، فقال لهم: "وفي وطنكم موجة من الإلحاد، جاءت في ركاب الثقافة الغربية، ومكّن لها القصد الصحيح من غايات الاستعمار، ومهد لها في نفوس هذا الجيل، جهله بحقائق الإسلام، وضعف صلته بالله، وإنّ تساهلكم في إقامة شعائر الدين، أو استخفافكم بأحكامه، معين على تفشي الإلحاد في الجيل الجديد الذين تقومون على تربيته، فاحذروا الظهور بمظهر المستخف بالدين، ولو في فلتات اللسان، فإن لكل فلتة ولكل كلمة تصدر منكم أثرا في نفوس تلاميذكم، لأنكم محل القدوة عندهم، ولأن زمنهم تبرع بالباقي، فإذا وجد العون منكم، كان أجود بالشر من الريح المرسلة"[1].

4- دعاة الإصلاح في مواجهة الفكر الإلحادي في الجزائر:

لم يغفل المصلحون الجزائريون ما كان يروج في المجتمع الجزائري من أفكار تدعو إلى التمرد على القيم الإسلامية، أي الدعوة إلى الإلحاد أو اللادينية، ونبذ الدين وطرحه جانبا، لأنه سبب ورمز للتخلف.

ولقد عالجت الصحف الإصلاحية الجزائرية، وعلى رأسها صحيفة الشهاب انتشار هذه الفكرة في أوساط الشباب، وأبرزت مخاطرها قائلة: "وفي أمتنا الجزائرية شبيبتان، ولكلتا الشبيبتين فكرة خصوصية، تراها نافعة لترقية الوطن، وللوصول به إلى كل خير وسعادة: شبيبة مؤمنة، تعتقد أن أساس رقي الوطن وسعادة الأمة هو: تطهير العقائد الإسلامية من الخرافات والأوهام، والتمسك بالإسلام، وتعتقد أن ذلك هو التمدن وذلك هو الرقي، وتلك هي الحياة الحقيقية، وقائدها إلى هاته الغاية الشريفة، هو القرآن العظيم والحديث الشريف. وشبيبة لا دينية، تعمل بفكرتها اللادينية، على هدم الإسلام ونبذ القرآن وراء ظهرها، وقتل لغة الإسلام، وتزعم أن التمسك بالإسلام وآدابه ولغته وأخلاقه، تأخر وجمود وانحطاط، وحجتها في هذا الإفراط كله، انحطاط الأمة الجزائرية، وتأخرها المشاهد الملموس. وتزعم أنه لولا تمسك هاته الأمة بالإسلام، والتقيد بقيوده الثقيلة، لما صارت مضربا للأمثال بين أمم العالم!"[2].

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي، **عيون البصائر**، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 298.

[2] حسن وارزقي، "الشباب اللاديني المقلد"، **الشهاب**، السنة الثالثة، العدد 134، 17 شعبان 1346هـ- 9 فيفري 1928م، ص 670- 671.

ويذكر الشهاب مزاعم هذا الصنف من الشباب الإلحادي التغريبي بقوله: "تزعم هاته الشبيبة، أن أول أساس يجب أن ترتكز عليه نهضة الجزائر، هو طرح الإسلام جانبا، ونبذ أوامره! والبقاء بدون ديانة، والعمل بكل ما تتطلبه المدنية الأوروبية، وقبولها برمتها حسنها وقبيحها. وتقرر هاته الشبيبة، أن أول شيء يجب التظاهر به، هو إباحة الخروج للنساء من دون حجاب، وإعطاؤهن الحرية التامة في كل ما يشتهين، ليعشن كأخواتهن المتمدنات!.

تريد هاته الشبيبة من الأمة، أن تقلد الأوروبيين في كل ما يسمى عندهم (مدنية)، أو حياة على (لغتهم)، ومن جملة ذلك تقليد لباسهم (شارليستون)، الذي لم يفت أحدا من هاته الشبيبة لباسه، وكذلك (الرقص)، الذي هو مظهر كبير من مظاهر التقدم في نظر هاته الشبيبة. تزعم هاته الشبيبة أن من لوازم النهوض والمدنية، أن يحلق رجال هاته الأمة اللحية و(الشارب) معا، ليتشبهوا برجال (أميركا).

تنكر هاته الشبيبة على الأمة، وبالأخص على الشبان المتدينين، اللباس العربي والتكلم بالعربية، وترى أن هذا جمودا على القديم... وتجزع كثيرا إذا خوطبت بغير الإفرنجية، وتعتبر ذلك إساءة أدب ممن يخاطبونها بالعربية، لأن لغة العرب لغة ثقيلة على ألسنتها، وجاهل من يعرفها، ووضيع من يتكلم بها، ومنحط من يؤيدها"[1].

وعبّر صاحب المقال، عن أسى المصلحين من فقدان هؤلاء الشباب، وارتمائهم في أحضان أعداء الشعب والدين والوطن، حيث "إنه لمن المحزن جدا، أن تخسر أمتنا، وأن نفقد من إخواننا جماعة من الشبان، كنا معلقين عليهم آمالا عظيمة، فإذا هم سلاح علينا، أو عالة على الوطن"[2].

ثم رد على هؤلاء ردا دينيا عقلانيا واقعيا، لعلهم يرعوون ويعودون إلى رشدهم، حيث قال لهم: "أيها الإخوان المخطئون، إننا نأسف كثيرا لاعتقادكم أن دين الإسلام مقيد للأفكار ومناف للتمدن، ونفهمكم أن الإسلام دين الفطرة، دين الحرية، أو دين المساواة، يحترم المفكرين ويأمر بالتفكير. ونفهمكم أيضا أيها الإخوان الغالطون، أنه لو تمسك بالإسلام آباؤكم، وأفهموكم مبادئه الشريفة بلغته العربية، لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه اليوم، ولما وصفتموه أنتم، بما ينزهه عنه كل من يفهم حقيقته. ارجعوا إلى رشدكم أيها

[1] وارزقي، مصدر سابق، ص 671.

[2] مصدر نفسه، ص 673.

الإخوان الطائشون المنخدعون. ميزوا بين الحقيقة، أو بين الخيال أيها المقلدون، فهل من الحياة أن تقلدوا غيركم في المستقبحات والخيالات، وتأخذوها مستحسنة مسلمة، من غير تأمل وتفكر؟

وهل رأيتم إفرنجيا أو إسرائيليا، قلدكم في شيء مما أنتجته أفكاركم، أو في لباس من ملبوسكم أو أكلكم، أو في أرفع شـــيء وأرقاه لديكم؟. فهل هم غير مدركين؟، وغير مفكرين؟ كلا. ألم يكفكم مقت وخزي تظاهرهم بشيء من (المودة)، فإذا رأوكم تسارعتم إليه، وشاركتموهم فيه مقلدين، سلموه لكم وهجروه، فرارا من تقليدكم الأعمى؟، فاعتبروا أيها الإخوان المغرورون، خلبتكم الظواهر، وجذبتكم المناظر الخلابة، ولم تتدبروا في عواقب الأمور، فوقعتم في بئر الأوهام"[1].

وفي مقال آخر، حذّر أحد كتاب الشهاب الشباب، من الارتماء في أحضان المدنية الغربية الإباحية، مبرزا حقائقها، ومعاناة دول أوروبا من سلبياتها، وموجها الشباب إلى حقيقة التمدن والتحضر، قائلا: "ولعلك أيها الشاب الناشئ، تدرك برهافة شعورك ودقة إحساسك، ما تفضي إليه تلك المخازي والمآسي، التي تتأبطها قشور المدنية الإباحية، وكأني بك تفضل أمام تلك المناظر المستبشعة، أن توسم بالرجعي المحافظ، على خلق الصـــيانة والعفة، من أن تحمل اســـم المدني الأنيق، واللطيف لطافة ثوب الأفعى. وما أجدر ذوي الحصافة ممن استهوتهم بهارج المدنية الخداعة، أن يخففوا من غلوائهم، وأن يدركوا بأن المدنية، هي الأخذ بسهم وافر من علوم الحياة العملية فحسب، مع الاحتفاظ بخلق النزاهة، والوقوف عند الحد الذي حدده الإسلام. أما ما عدا ذلك، فهو التوحش الذي يصمنا به من دأبهم تغميط حقوق الضعيف، وحب الأثرة، والسير مع حب الذات، وتبرير الإباحية بكل وسيلة"[2].

ولحساسية الموقف وخطورته، قرر الإمام ابن باديس الاجتماع ببعض هؤلاء الشباب، للاستماع إلى انشغالاتهم، ولتنبيههم لخطورة وانحراف ما هم عليه من أفكار وسلوكيات، فسرد فعاليات ذلك في الشهاب قائلا: "جمعتني ليلة بثلة من شبابنا المتعلم التعليم الأوروبي، والمتأدب الأدب الإفرنجي، ممن لا ينقصه شيء عن الطبقات الراقية منهم، وانساق بنا الكلام إلى ما تكتسب به الأمم والأفراد الاحترام في عين غيرها، واتفقنا على أن الأمة التي لا تحترم مقوماتها، من جنســـها ولغتها ودينها وتاريخها، لا تعد أمة بين الأمم،

[1] وارزقي، مصدر سابق، ص ص 670- 674.

[2] كاتب كبير، "حديثنا اليوم مع الشباب"، **الشهاب**، الجزء السادس، المجلد الثامن، غرة صفر 1351هـ- جوان 1932م، ص 350-351.

ولا ينظر إليها إلا بعين الاحتقار، مع القضـــاء عليها في ميادين الحياة بالتقهقر والاندحار. وأن الفرد الذي لا يحافظ على ذلك من أمته، لتأخرها في ســـير الزمان، بما أحاط بها من ظروف الحياة، وإن تحلى بأعظم وأحسن ما يتحلى به الراقون من أمة أخرى، لا ينظر إليه إلا بالعين التي ينظر بها إلى أمته[1]".

ثم نصحهم كي يقوموا بمساعدة أمتهم، وعدم التعالي عليها قائلا لهم: "عليكم أن تلتفتوا إلى أمتكم، فتنتشلوها مما هي فيه، بما عندكم من علم، وما اكتسبتم من خبرة، محافظين لها على مقوماتها، سائرين بها في موكب المدنية الحقة بين الأمم، وبهذا تخدمون أنفسكم، وتخدمون الإنسانية، بإنهاض أمة عظيمة تاريخية من أممها، ثم لا يمنع هذا من أخذ العلم عن كل أمة، وبأي لســـان، واقتباس كل ما هو حســـن مما عند غيرنا، ومد اليد إلى كل من يريد التعاون على الخير والسعادة والسلام"[2].

ويؤكد على هذا كاتب آخر من كتاب الشـــهاب، الذي وضـــح غرض الحركة الإصـــلاحية في هذا الخصـــوص، حيث يقول: "وإننا لا نفتأ نكرر، بأن واجب شـــبابنا مهما كانت الناحية التي ينحو نحوها، الســـعي الحثيث في تفهم مثل هذه الجوائح، التي من شـــأنها أن تفتق ذهنه، فيميز ما بين الخبيث والطيب من أســـاليب هذه المدنية، فيتمســـك بما يهديه منها إلى الثقافة الصـــحيحة التي تتفق والإســـلام الصـــحيح، ويرمي بما عدا ذلك من حالق، فهذه هي الخطة الوحيدة لبلوغ غاية تشـــرف المدنية الحقة، والبلاد والملة والقومية"[3].

على أن من فضـــل الله على الجزائريين، أن الإلحاد لم يتســـرب إلى عقول أبنائها المتعلمين، إلا بنســـبة ضـــئيلة، والســـر في ذلك يرجع إلى تصـــلب الجزائري في دينه، وإن كان جاهلا به، ومن جهة أخرى، إلى سياسة المَيْز الخاطئة، التي يشهد المتعلم آثارها، حتى في التعليم وصفوف التعليم[4].

---

[1] عبد الحميد بن باديس، "قيمة الرجل بقيمة قومه"، **الشـــهاب**، الجزء الثامن، المجلد الحادي عشـــر، غرة شـــعبان 1354هـ- نوفمبر 1935م، ص 501- 502.

[2] مصدر نفسه، ص 502.

[3] كاتب كبير، حديثنا اليوم...، ص 351- 352.

[4] الإبراهيمي، تصدير...، ص 53.

الخاتمة: انتشـــرت العديد من الظواهر الســـلبية في المجتمعات العربية الإســـلامية، والتي هي نتاج الموجة الاستعمارية الأوروبية الحديثة، كالعلمانية، واللادينية، والشيوعية، وغيرها...

وبعد أن ظلت هذه الظواهر الدخيلة من المحظورات، ولم يكن مســـموحا الحديث عنها، ولا حتى التحذير من انتشارها، خصوصا بين أوساط الشباب، وهو المستهدف الأول، فقد لوحظ مؤخرا الحديث عن أخطرها، وهو الإلحاد وذلك في كثير من البرامج الإذاعية والتلفزيونية، وعبر وســـائل التواصـــل الاجتماعي.

وإن الإلحاد المتمثل في إنكار الخالق شـذوذ يسـتبشـعه العقل البشـري، وتأباه الفطرة السـوية، يعتبرا خطرا على البشرية كلها، وليس خطرا على الإسلام وحده.

ومما لا شـك فيه، أن هناك قوى معادية لديننا وأمتنا ومنطقتنا، تعمل على دعم الجماعات الملحدة، ونشـــر الفكر الإلحادي، قصـــدهم في ذلك هدم مجتمعاتنا ونخرها من داخلها، بالإرهاب المصـــنوع تارة، والإلحاد الموجه أو الممول تارة أخرى.

وتهدف مخططات الأعداء من خلال نشـــر الإلحاد، إلى نزع القيم الإيجابية من نفس الملحد، وبما يفتقده من الرقابة الذاتية الأصـيلة، رقابه الضـمير، أو الفطرة، ومراقبة خالق الكون والحياة، عندها لم يعد أمامه ســوى القانون الذي يســعى إلى التفلت منه ما وســعه ذلك، وتصــبح البشــرية حينها أقرب إلى الحيوانية، فالإلحاد خطر داهم على الفرد والمجتمع، يجب الحذر منه، والتحذير من أصـــحابه، ومواجهته للحيلولة دون استفحاله في مجتمعاتنا.

قائمة المصادر والمراجع:

الإبراهيمي محمد البشير، "تصـدير"، **سـجل مؤتمر جمعية العلماء المسـلمين الجزائريين**، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، 2009

الإبراهيمي محمد البشير، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، (جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي)، الجزء الثاني (1940- 1952)، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997

الإبراهيمي محمد البشير، **عيون البصائر**، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007

ابن باديس عبد الحميد، "قيمة الرجل بقيمة قومه"، **الشـــهاب**، الجزء الثامن، المجلد الحادي عشـــر، غرة شعبان 1354هـ- نوفمبر 1935

ابن عمر بعزيز، (1938). اهتمام جمعية العلماء بالحركة التهذيبية في باريس، "**البصـائر**"، الجزائر، السنة الثالثة، عدد 103

حســـن محمد عبد المنعم عبد الســـلام، "ظاهرة الإلحاد أســـبابها آثارها ســـبل الوقاية منها"، **حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية**، المجلد الأول، العدد 35.

حسين محمد، **الإسلام والحضارة الغربية**، الطبعة الأولى، طبعة المكتب الإسلامي، 1399هـ-1979م

الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير**، الجزء الأول، الطبعة الثانية، طبع رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1403هـ- 1983م

سلوادي حسن عبد الرحمن، **عبد الحميد بن باديس مفسرا**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م

السنوسي محمد الهادي، **شعراء الجزائر في العصر الحاضر**، الجزء الثاني، المطبعة التونسية، 1926م

صـبري مصـطفى، **موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسـلين**، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان

عبد الحميد بن باديس،**آثار ابن باديس**، المجلد الأول، إعداد وتصـــنيف عمار الطالبي، الطبعة الثالثة، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1417هـ-1997م

كاتب كبير، "حديثنا اليوم مع الشباب"، **الشهاب**، الجزء السادس، المجلد الثامن، غرة صفر 1351هـ- جوان 1932م

ماسترسن باترك، **الإلحاد والاغتراب** (بحث في المصادر الفلسفية للإلحاد المعاصر)، الطبعة الأولى، ترجمة هبة ناصر، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العراق، 2017

مراد علي، **الحركة الإصـــلاحية الإســـلامية في الجزائر**، ترجمة محمد يحياتن، الطبعة الثانية، دار الحكمة، الجزائر، 1999

المنار، "الإلحاد في المدارس العلمانية"، المجلد 14، الجزء 7، رجب 1329هـ-جويلية 1911م

المنار، المجلد 12، الجزء 4، ربيع الآخر 1327هـ-ماي 1909م

وارزقي حسن، "الشباب اللاديني المقلد"، **الشهاب**، السنة الثالثة، العدد 134، 17 شعبان 1346هـ-9 فيفري 1928م